الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

الاحد 11 جمادى الثانى 1421 هـ 10 سبتمبر 2000 العدد 7957

قراءة في كلمة السعودية بقمة الألفية

زهير فهد الحارثي *

مقالات سابقة للكاتب
إبحث في مقالات الكتاب

الفكر والشيء الواقعي حقيقة واحدة، هكذا كان يعتقد الفيلسوف هيجل، بمعنى ان كل الحقائق ما هي إلا كشف عن الفكرة وتعبير لها، وكأنه بذلك يقول ان الحقيقة النهائية هي العقل، ولا يمكن ان تبلغ تلك المرحلة إلا بعد ان تجتاز مراحل متعددة وسابقة، فما الحقيقة في نهاية المطاف إلا الفكر، وهذا الفكر هو الذي يقوم بالتفسير العقلي لكل شيء.

اتأمل هذه المقولة، والعالم بأكمله (على مستوى القمة) يحتشد في قاعة بمبنى الأمم المتحدة تحت مسمى قمة الألفية للأمم المتحدة، في وقت بات احوج الى تجمع مثل هذا، فوتيرة التحولات والمتغيرات، باتت من الصعوبة بمكان ان تتعاطى معها الدول بشكل انفرادي، بل صارت في امس الحاجة الى التعاون والتفاهم بشكل جماعي، تستند فيه الى «الفعل» لا «التنظير». على ان القمة تضمنت كلمات موجزة للقادة والزعماء، استعرضوا فيها وبشكل جوهري التحديات الراهنة والآمال المعقودة في القادم من الأيام.

غير ان كلمة السعودية التي ألقاها ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، من الكلمات التي تستحق الوقوف عندها وتحليلها بشكل عقلاني. فالمقال هنا ليس بصدد مدح السعودية، كما ان الغاية منه لا تهدف الى تصيد الأخطاء او تضخيم الأمور الايجابية منها، بقدر ما هي قراءة محايدة، وتقويم موضوعي لما تضمنته الكلمة الموجزة من آراء وعناصر جديرة بالتفكيك والتحليل.

كانت المحاور الأساسية ترتكز على دور الأمم المتحدة وقضية القدس وحقوق الانسان والعولمة وآثارها. على انه قبل الولوج في تحليل المحاور، لا بد ان نوضح نقطة باتت واضحة في الخطاب السعودي من حيث الصيغة، حيث نلمح العبارات التساؤلية، على سبيل المثال (لنا ان نتساءل أين نحن من ذلك).. (أين نحن مما نص عليه الميثاق).

هذا الأسلوب التساؤلي - ان جاز التعبير - يحفز على التفسير العقلي، الذي ذكرناه في بداية المقال، ومن ثم تأتي الاجابة قاطعة كما تلحظه في محاور الكلمة السعودية.

لم تكن الغاية من القائها مجرد حضور وبروتوكول، وان كان في هذا بعض الصحة، انما الغاية القاطعة التي تكشفت من مضمون كلمة الأمير عبد الله، رسالة مهمة ذات مغزى وليست مجرد عبارات انشائية مرصوصة لهذه المناسبة.

نذكر هنا مثالاً واضحاً على ما ذكرناه آنفاً، وهو محور دور هيئة الأمم المتحدة، حيث انه رغم الظروف والمصاعب التي تمر بها المنظمة الأممية، إلا ان السعودية أعلنت كامل ثقتها في المنظمة، وانها (تبقى أمل البشرية بعد الله جل جلاله في تحقيق تجنب الاجيال القادمة ويلات المستقبل). ولم تقف السعودية عند هذا الحد من المطالبة بتقييم ومواجهة دور الأمم المتحدة أي انها لم تكتف بتحديد الداء (التنظير) بل انتقلت الى ايجاد الدواء (الفعل) فأعلنت عن تبرعها بما يعادل 30% من الميزانية المقترحة لصندوق العمل الوقائي حتى يتمكن الصندوق من تحقيق اهدافه.

ثم يأتي التأكيد على حقوق الشعب الفلسطيني، وأهمية القدس كأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فالسعودية هنا - أي في هذه القضية - لا تمثل نفسها بل تنوب المسلمين جميعاً في تكريس هذه الدعوة، وهي - أي السعودية - تنزع الى التأكيد على هذه المبادئ لا سيما في المحافل الدولية، كما ان هذا الطرح جاء مناسباً في موقع شهد بداية هذا الصراع (الفلسطيني - الاسرائيلي) بل نشأ نتيجة لقرار من الأمم المتحدة (وهو الآن مستمر لعدم الالتزام بتنفيذ قرارات مجلس الأمن).

ويستمر الخطاب التساؤلي ليمس قضية هامة تتداخل بين حقوق الانسان والحوار بين الحضارات. يقول الأمير (ان هذه الحقوق والمبادئ توجد في اعماق كل الحضارات، لا يصح النظر اليها بمعزل عن الحضارة التي نشأت منها، كما انه من الصعب ان نفرض على انسان او مجتمع مفاهيم ترفضها مبادؤه وأخلاقه). والحقيقة ان الأمير هنا يعالج قضية ما زالت غير واضحة الملامح في العقلية الغربية، حيث ترى هذه العقلية وجوب الفصل ما بين الدين والسياسة (العلمانية) في حين ان المسلمين (السعوديين تحديداً) يرون انه لا يوجد انفصال بينهما فالدين يشمل (الكل) والسياسة جزء ينتمي، الى هذا (الكل) لذلك فالنظرة البراجماتية لهذا التحليل تفيد ان الخلل وسوء الفهم سيبقيان ما لم تكن هناك نية جادة في محاولة الاصلاح والعلاج، ولذلك فان اعلان هيئة الأمم المتحدة ان السنة القادمة سنة حوار بين الحضارات، يمكن ان تحقق نجاحات، وهذا ما جعل السعودية تطالب بصيغة (تجمع بين عالمية هذا المفهوم وبين المبادئ والقيم التي لا يمكن لأي امة التخلي عنها)، وعلى أية حال هذا يحتاج الى وقت وجهد لدراسة الحضارات الحية والى اشخاص قادرين على هذا الدمج الحضاري.

وفي محفل كهذا، لا بد من ذكر العولمة التي باتت سمة بارزة في أجندة الملتقيات والمنتديات العالمية، ويحضرني هنا ما قاله الأمير عبد الله خلال لقائه برجال الأعمال اليابانيين العام الماضي في طوكيو من «ان السعودية تتفق حول الحاجة الى التكيف مع ظاهرة العولمة دون

الاخلال بهويتنا او المساس بعقيدتنا او مبادئنا وقيمنا الاجتماعية».

وفي نيويورك، يؤكد الأمير عبد الله على ذلك التوجه، مؤكداً ان للعولمة جانباً مشرقاً لكنه (يقابله جانب مظلم.. ويتضمن مخاطر وتهديداً على وجه الخصوص للمجتمعات الفقيرة والصغيرة في أسرتنا الدولية). نعم... ان السعودية وغيرها من الأمم المتمسكة بهويتها الأصلية تخشى الذوبان (ذوبان هويتها الأصلية في ظل تيار الغزو الالكتروني) وهناك خطر آخر لمجتمعات أخرى يكمن في الافلاس كونها لا تستطيع المنافسة في عالم اقتصادي لا يرحم. لذلك فالأمير يهيب بالمنظمة ان تقوم بدور المنظم لعملية العولمة (حتى لا تتحول الى طوفان جارف تنهار بسببه الضوابط) وهو طرح منطقي يمثل جانباً من مسؤولية هيئة الأمم المتحدة.. وربما جاء يوم تتحول فيه الآمال والأحلام الى واقع تتوازن فيه البشرية.

*** كاتب سعودي**

مشاركة >> <

Tweet

بريد طباعة